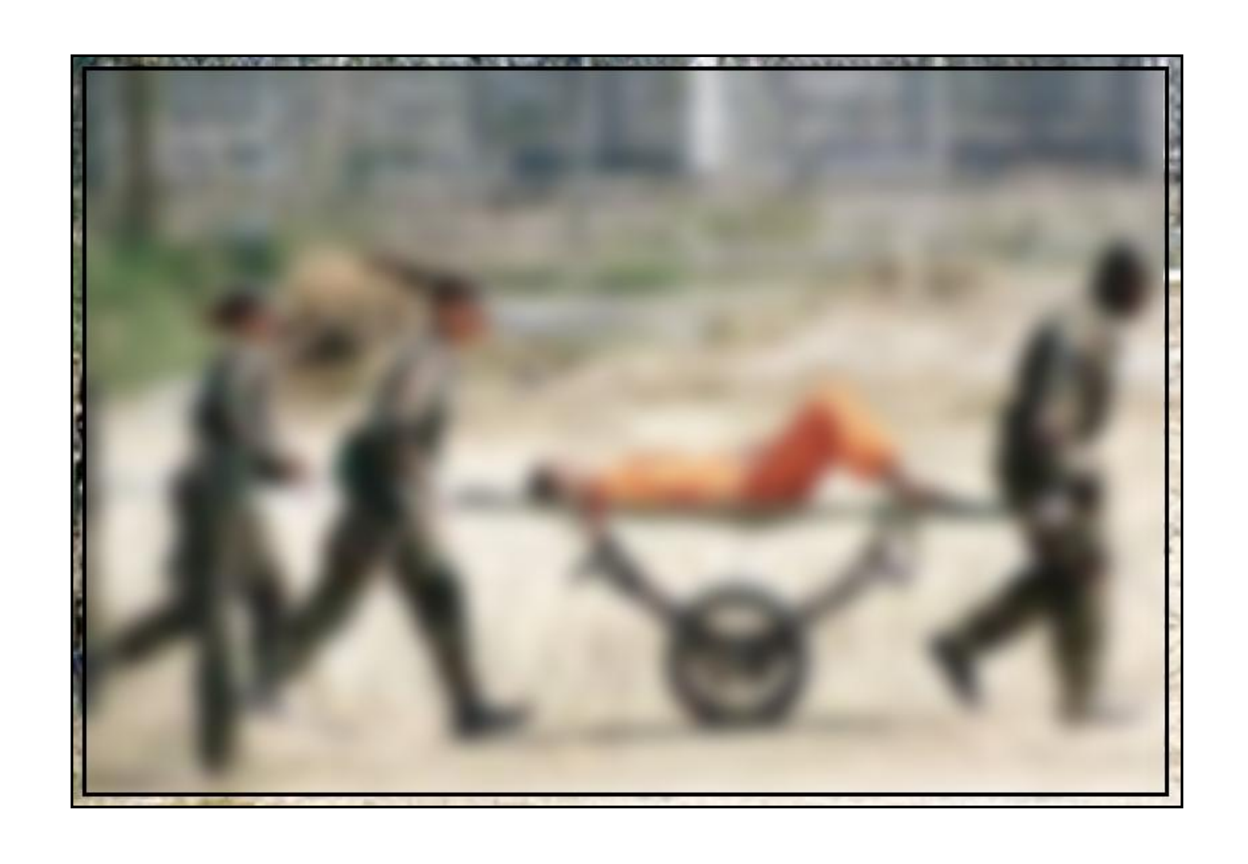
قصة قصير

العنوان السجين سبعة عشر في غوانتانامو

كتبها حلمي صابر



هذه مشكلتنا مع المحققين !
يعذبونهم،
ونحن نُرَّقع ضربَهم،
نعالجُهم،
ثم يعودون مرة أخرى بأصابعَ مكسورة،
ووجوهًا من الضرب مكدومة،
وظهورا بالسياطِ مسلوخة،
ومن الاحتقار والإهانة محزونة،

كان الطبيب فكري يعاتب صاحبه الطبيب : لماذا يعذبون السجناء على هذا النحو ؟ لماذا لا يعاملونهم بكرامة !؟ أية معلومات هذه التي لا تجيء إلا بالصعق والحرق والضرب والتعذيب والإهانة. بعضُ الأحيانِ بسبب أصواتِ صراخهم وآهاتهم التي تخرق أذني في الليل ؛ لا استطيع النومَ معه إلا بأقراصِ النوم . سأل صاحبه: هل أنت وأنا يا دكتور صبري مشاركون في هذا التعذيب ؟
اسكتْ ولا تتكلمْ فيما لا يعنيك، نحن أطباء جراحة وأعصاب. أرسلتنا دولتنا للمشاركة في التحقيق. أنت طبيب وعسكري أيضا. عواطفك ومشاعرك شيء وعسكريتك شي آخر، فالكل مراقب صوتا وصورة. أنسيت بأننا في سجن جوانتانامو !. وأنت تعلم بأن الكاميرات ترصدنا وتسمعنا؛ فاسكتْ ولا تتكلمْ فيما لا يعنيك. ودعنا ننهي مهمتنا دون أية مشاعر ونرجع سالمين إلى بلادنا. انتبه: بحديثك هذا سنعاقب أنا وإياك، ونتهم بالإرهاب أيضا !. أتريد هذا يا فكري ؟ فكن عاقلا وامسك لسانك . واضح !؟. علَّقَ الدكتور صبري رداء الطبيب على علاق الجدار

نادى المحقق السجين سبعة عشر (17)، الساعة الرابعة عصرا.
جهز السرير يا دكتور فكري فسيرجع لنا كالعادة في الليل أو الفجر

هذا المحقق مجنون غضوب
لسانه الضرب
يا رجل هؤلاء دربوهم على الحقد والخوف من سبعة عشر (17) وأمثاله. يتعاملون معهم كما يتعاملون مع الجن قصدت أنهم يخافون منهم حتى الموت، مع أن سبعة عشر مكبل بالسلاسل في القدمين واليدين، ومعه أربعة حراس. لكن " بِلْ " المحقق يخاف منه حتى الموت.
قف هنا يا حيوان
لا تحرك شفتيك كعادتك
أسألك تُجِب
إذا لم تجب
لا أعرف ماذا سيجيئك، ليس في ذهني شيء محدد
التفت إلى حراسه تأكدوا بأن بنادقكم جاهزة للإطلاق

صرخ في وجهه قلت لك لا تحرك شفتيك
ما الذي جاء بك إلى قندهار في أفغانستان؟

بصوت مبحوح خافت يكاد أن يسمع
جئت أبحث عن ولدي وزوجتي

أتكذبُ يا قذر . بصقَ المحقق في وجهه
أنت لست متزوجا وليس عندك ولد

متزوج بفلسطين وولدي اسمه السودان
رجعنا إلى الجنون
صفعه بقوة، وركله بالحذاء على فخذه فوقع على الأرض منحنيا ماسكا بطنه

قف يا حقير
صوب الحارس بندقيته من جديد قائلا: لو تحركت سأفرغ الرصاص في رأسك
أكرر سؤالي القديم
من قابلت في قندهار ؟ وبماذا تحدثتم ؟ ومن كان معكم ؟
قابلت حلب
وحدثتها عن سوقها القديم الذي هُدِم بقنابل الأسد
ولم يكن معنا أحدا سوى الجزائر والمنامة والسودان الولد

أخذ المحقق البندقية من أحد الحراس وضرب بها سبعة عشر على ظهره ورأسه وركله بركبته حتى وقع على وجهه على الأرض ورفعه الجندي وجمع " بل " بصاقه في فمه لكنه تفله هذه المرة على الأرض ولم يتفلها عليه كما فعل في المرات السابقة.

خذوه من وجهي
اخرجوا هذا الحقير من هنا

أتعرفين رغبتي يا أغلى الناس ؟
وددت بأنني أحدثت في مشاعرك مكانا صغيرا. فتحة صغيرة أجلس فيها ولا أخرج
مكانا لا أذى فيه، ولا ألم
دعِ الألم لي، لا يصيبك منه شيء
ليتني في مشاعرك، ليتني نبضة من نبضات قلبك

أأخبرك قصتي
الكتابة تعب وألم
يا غاليتي: على وجهي غبار السنين
جئت عندك أبحث عن راحتك وراحتي

متردد أأقف عن الكتابة؛ لأن عيناي بدأتا تطفو على الدمع
ولو كتبتُ
ستجري دموعي وسيبكي صوتي
وستسمعين بكاء دمعي
وستسمعين نشيجا
أتعلمين ما النشيج
هو البكاء المحبوس
أحبس بكائي لئلا تسمعينه
سمعته مرة خيلي وناقتي
سمعتا نشيجي
فبكينا جميعا
البكاء المحبوس: أشد أنواع البكاء؛ لأنه يتجدد ويرجع إلى نفسه. بكاء كالأمواج تصطدم وتصطدم في صدري

أرأيتِ رجلا يبكي ؟
لا أظن بأن المرأة تحب أن ترى رجلا يبكي
إذا بكى فماذا ترك لها
إذا رأت من اعتمدت عليه يذرف الدموع
زاد شعورها بالضعف
سأخبرك قصتي حتى لو ضُعف قلبي عن النبض
وسأواصل الحديث حتى لو جفَّ القلم والحبر
وسأكتب على الجدران بالفحم، ولو صار الفحم رمادا !
سأجعل من دمي محبرة. أريد أن أكتبكِ.
سأخبرك قصتي حتى لو بُحَّ صوتي. أرجوك اسمعيني؛ فلم يبق صديق إلا أنتِ .

وسأخبرك قصتي لتعرفي؛ سرًا مكتوم لا يعلمه أحد من الناس.
يا أغلى الناس حبك هو السر. أخفيته عن كل أحد حتى صار حريقا في صدري، وألما في مشاعري.
مجروح في روحي وجسدي. أنتِ جرحي.

أرأيتِ رماد السنين على وجهي
لم أقصد التجاعيد في وجهي ويدي،
لست أشكو،
وليس مثلي يشكو !
ولن أشكو.
سأرحل قريبا، وقبل رحيلي سأخبرك قصتي.

كلما أحاول أن أنساك، تذكرتك
أتعبتني كثيرا، ولا زلتِ، وستظلين

بضعة أيام وكأن شيئا لم يكن
انتهينا قبل أن نبدأ !
اختلفنا و افترقنا، ولم نجتمع بعد !
كأن شيئا لم يكن
بقي فقط ذكراه المؤلمة
لها حرقة في كبدي
وأنفاس حارة في صدري
ودموع في عيني
وفكر حائر في مصيري معك.
سأثبت على الطريق إن شاء الله، لكن أين وجهتي معك !؟. حيرة تحت قدمي، تجمدت في مكاني، وتقدمت إلى الخلف عكس الاتجاه !.

غبار السنين
قصتي
أريد أن أضع الرماد الحار على جرحي
وأنفض الغبار عن وجهي وقدمي وثوبي

صار يهذي من جديد دعك منه دكتور صبري
فقدنا الأمل معه

مصاب بورم وفصام
إن لم يمت من هذا فهو من الأموات بذاك

أنا يائس من حالته
وهو من حالتنا أيأس
إن وضعت يدك على بطنه، قال ابعد يدك عن فلسطين
وإذا وضعتها على صدره قال لا تقترب من مكة والدين
فكل أعضائه العالم العربي الإسلامي
إحدى قدميه السودان والأخرى باكستان
كما ترى شبه مجنون !

أتظنه يصلح لدرس الجغرافيا بعنوان: " الخريطة على إنسان " قال ذلك مبتسما
هذا هو الجنون.
ولكن حديثه فيه سبب وأسباب وكأنه يصدر من عقل
هم هكذا، لا عليك أيام وتنتهي وسيأتي على سريره سجين جديد
وسينام في المقبرة داميا مجروحا من كل جهة، وسنرتاح منه.
هو يخادع المحقق الذي أهلكه ضربا وبالكهرباء صعقا وبالحبال تعليقا وشدا
أرأيت حينما جاءوا به ، وفمه يقذف الدم
ضربه المحقق بمقدم حذائه في بطنه
ضربه في موضع ألمه
وهو مريض في أمعائه
قذفه المحقق مرة بقارورة العصير فتنحى عنها
فأخذ المحقق القارورة وضربها بقوته على حنجرته
حتى لم يستطع الكلام لأيام

وهما يتحدثان جيء بـ (17) من غرفة التحقيق محمولا على عربة خشبية تلون سطحها بقطع الدم.
دكتور صبري ألم أقل لك بأن هذا المحقق مجنون
بماذا ضربه هذه المرة
لقد فقدَ دما كثيرا
اسمع تمتمة
ضع أذنك عند فيه
اللهم ربي أرزقني صبرا
يا ربي أوزعني شكرك
يا ربي ثبت اللسان والقلب

اقترب الدكتور فكري بأذنه إلى شفتي سبعة عشر الذي كان يتمتم
كيف امرأة مثلك لم تتزوج !؟
لو عندك طفل صغير
يمتص مشاعر الأمومة المخفية المغطاة
أليس أفضل مما أنت فيه!
ألم تحلمي بطفلة على شعرها وردة جميلة يوم العيد
تشبهك، وورثت جمالك، ولون عينيك، وطيبتك، ومرحك، وبساطتك، وتواضعك الجم،

وتحضنها جدتها
وتقول هذه أنتِ؛ إنها تشبهك

أحلمتي بولد لبس عقالاً على رأسه يوم العيد
شمَّ رائحة الحذاء الجديد
لم يستطع النوم
انتظر الصباح للحذاء الأسود الجديد

هناك أسئلة من الأفضل ألا تعرف أجوبتها
بل الأفضل منه ألا تسأل

هل أنا في حلم أم أنا تحت التعذيب

ستكون الوحدة مع مضي الوقت وتقدم العمر أصعب
كيف أرتاح !؟
كيف لم احترق
بل كيف صرت رمادا

صاحبنا يهذي من جديد
أليس معه فصام !

استعد تحقيق جديد، جهز السرير. أعطه مسكنا مضاعفا للألم ليقوى على الضرب. سحبوه على الأرض. انظر يا دكتور صبري هذه البداية !.

أجلسوه ربطوه لئلا يقع، فتح عينيه بكسل شديد، نظر ، إنها غرفة التحقيق من جديد. رطوبة البحر القريب من السجن في القاعدة العسكرية في كوبا جعل جو الغرفة المصنوعة من الخشب كجو الغابة المخنوقة التي لا هواء فيها. جلس المحقق " بل " على كرسيه بعد أن ذرع الغرفة مجيئا وذهابا وبيده العصا الخضراء التي قطعها من الشجرة التي بجوار غرفة التحقيق، هزها في الهواء مجربا ليونتها الخضراء، وأعجبه صوت السوط في الهواء.

" بلْ " ناداه السجين
نعم يا سبعة عشر وهو يهز العصا الخضراء
ماذا تريد مني أن أقول في اعترافي لك ؟

جيد بدأنا نتحاور ونتفاهم، أريدك أن تعترف وتخبرني كيف هجمتم على برجي نيويورك في صباح التاسع من سبتمبر عام 2001. اعترافك يا سبعة عشر سيساعدك كثيرا في تقليل مدة السجن المؤبد .

حسنا سأخبرك بكل شيء
جيد.
إريك شغل الكاميرا للتسجيل، روجر اطبع كل شيء لا تترك كلمة واحدة؛ هذه ساعة من ساعات تاريخنا المجيد.
بدأ سبعة عشر:
تشينوف ورامسفيلدوفوف دعوني في مبنى البنتاجون.
انتظرْ انتظرْ ، قاطعه " بِلْ " مكررا
تشينوف ورامسفيلدوفوف وما علاقتهما باعترافك أيها القذر !؟

أتهزأ بي في هذا الصباح الرطب. لسعه بالعصا في ساقه

طلب " بل " من الرقيب إريك أنْ ينادي الطبيب فكري وصبري لهذا المجنون

نعم سيدي ؟
ضعا جهاز كشف الكذب على هذا الإرهابي الكذاب
اسمع يا سبعة عشر إنك تستفز غضبي، وسأقتلك.

ألا تريد اعترافي ؟
بلا يا قذر
لو كان الأمر بيدي لقطعتك وغرست في قلبك السكين كما أفعل مع الهمبرغر في مطعم إنجليزي.
كيف تذكر تشينوف ورامسفيلدوفوف !

سيدي: هذا السجين مصاب بالفصام. فهو يرى ويسمع أشياءً غير حقيقية؛ فلا قيمة لاعترافه من الناحية الطبية.
وأظن كذلك يا سيدي من الناحية القانونية. شكرا يا دكتور فكري
لم يأبه " بِلْ " بكلام الطبيب وأمر جنديه المرعوب: ضع جهاز كشف الكذب عليه.
سيدي: هذا لا يعرف الكذب كرر عليه الدكتور صبري ذلك. فما سيخبرك به بالنسبة له حقيقة رآها ويسمعها الآن !. فلن يتغير جهاز كشف الكذب لا قبلُ ولا بعدُ؛ لأن سبعة عشر يقول الحقيقة التي يتخيلها في ذهنه.
لكنه أراد أن يعترف ! عقَّب ذلك المحقق بلْ. لا جدوى من الحديث معه. قال الطبيب فكري محدثا نفسه
حسنا سأضع عليه جهاز كشف الكذب.

تفضل يا سبعة عشر أنا انتظر اعترافك. التفت كل من الطبيبين إلى بعضهما متعجبين.

قبل عام من تفجير البرجين، اجتمعت مع رامسفيلدوفوف وتشينوف في قاعدة بكاليفورنيا، وتحدثنا كثيرا في كيفية إقناع الرئيس ومجلس الشيوخ في الهجوم على أفغانستان التي تشكل خطرا إسلاميا جديدا في المنطقة وقد تتسع! لأن هذا يثير مخاوفنا على المدى الطويل لكثير من الأسباب. أصدقاؤنا في إيران منزعجون جدا من ذلك وطلبوا كثيرا من حكومتنا في حلِّ حكومة طالبان. والأمر الآخر: صدام حسين رجل لا تتنبأ بسلوكه فكنا نخشى أن يهجم بصواريخه على إسرائيل ولدنا المدلل. أظن نحن ولده المدلل.

وفي حرب العراق مع إيران رأينا ما يملك العراق من ترسانة عسكرية ضخمة كالصواريخ التي يمكنها أن تحمل رؤوسا نووية خاصة مع توفر أموال دول الخليج. لا تنس أن العراق درب علماءه النوويين وطورهم وأنفق كثيرا عليهم. وحقيقة كنت أتمنى أن نخطفهم ونضعهم في مراكز أبحاثنا العسكرية. فصدام وطالبان مشكلتان لا بد أن نعجل قرارهما وهو التدمير، أضف إلى ذلك أن وزارة المالية لن تدفع لنا المبالغ في الوقت المطلوب لخوض حرب في الطرف الآخر من الكرة الأرضية. إلا بسبب مقنع. والهجوم على أمريكا سيكون عذرا وتبريرا ومقنعا لمجلس الشيوخ.

قال لي تشينوف إذا لم تصنعنا الحرب نحن نصعنها.

قف قف قف هذا هراء هذا جنون !
قلت لك أيها العقيد بلْ معه فصام.
صرخَ " بلْ " بصوت غاضب عال: أرني قراءة جهاز الكذب
الدكتور فكري: كأن أحدا لم يتكلم
إريك: سيدي هل أتلف هذا التسجيل ؟

انتظر لا تفعل أخذنا الفيلم من المستودع برقمه وعلي أن أرجعه فارغا أو بمحتواه. ومحتوى الفيديو هلوسة ! والمجلس العسكري سيضع علامة استفهام سيسألوننا: أين الفيلم، وأية معلومة في هذا السجن لها وزنها وثقلها وحسابها. ما هذه الورطة !

قف قف يا سبعة عشر
دكتور صبري أعطه طعاما جيدا وأريده أن يرتاح
واكتب في التقرير بأنه أعطي حبوبا للهلوسة بالخطأ؛ لكي نتعامل مع الفيلم بطريقة صحيحة

دكتور صبري أطحن أقراص الهلوسة في طعامه. ما هذا صحن شوربة ! لأول مرة تقدمون شوربة هل نفدت علب الفاصوليا الصدأة ؟. إنها لذيذة جدا .

قال الدكتور فكري لذيذة جدا حتى أن عقلك سيطير منها
أشعر بصداع في رأسي،
وقعت الملعقة وانسكبت الشوربة عليه.
نادى الطبيب الجندي خذه إلى زنزانته واغسله جيدا وأعطه بدلة جديدة. أخذه الجندي ورماه على الأرض في القفص وتركه كما فعل في كل مرة.

أظنكِ هواءً أتنفسه في صدري
أظنك نبضاً ينبض في قلبي
أظنك حياة سرقت حياتي
فما عدت أدري من أنا
لكنني واثق بأنكِ صرتِ حياتي
رأيت القمر ليلة البدر بين يديك
فاحترت أيكما كان الذي في السماءِ
وأيكما الذي كان على الأرضِ

نظر فيه الدكتور متأملا حزينا
أرحمُ هذا المريض؛ فعقله منفصل عنه، وقلبه لصيق به
وهو بين هذا وهذا، كل يجذبه وكل يحذفه !.
لا تتعاطف مع هؤلاء المجرمين يا صبري، ضحكت في داخلي حينما اجتمع معهم في كاليفورنيا. وضعت يدي على وجهي لأخفي ضحكتي. أنت تعرف العقيد " بل " فإنني أتجنب الاحتكاك به، وهو يرتاح لك أكثر مني، فدائما يا صبري ابتدره لأية جواب وأبعده عني.
خرج الدكتور فكري من عيادته متوجها إلى مسكنه فجاء في خاطره أن يمر على سبعة عشر في العراء في القفص الذي لا يرد بردا ولا عقربا ولا ثعبانا ولا يرد أشعة الشمس الحارقة، مر عليه الطبيب فرآه مرميا على الأرض، فمسح وجهه وألبسه بدلته البرتقالية النظيفة، وتركه متألما حزينا عليه.

دكتور فكري شكرا لك أنت إنسان عظيم ترحم مجرما مثلي.
أنت لست مجرما، أنت بحاجة إلى من يعتني بك، وهذا المكان ليس لك، فاعترف لهم لينقلوك من كوبا وربما يُسَمح لك أن تكمل مدة السجن في بلدك.

ما جريمتي يا دكتور فكري ؟ ماذا فعلت ؟ أنت الذي يجيب ليس أنا. حقيقة لا أعلم بماذا اعترف لكنني جئت إلى كراتشي تحديدا لأقابل طبيبا في الأمراض العصبية يقولون معي فصام وبأنني اثنان !. جاءني في الفندق رجل قال بأنه من شركة سياحية وعرض عليَّ أن يأخذني في رحلة سياحية فوافقت لأن موعدي مع الطبيب جاويد أختر في كراتشي بعد يومين، لا أعلم أين أخذني لكننا كنا على جبال مرتفعة، وعندما قربنا من الحدود الباكستانية

الأفغانية؛ لرؤية الثلوج والأنهار التي لا تثيرني سواء كنت مشاهدا لها أو غائبا، ولو علمت ذلك لما ذهبت؛ فهذه الطبيعة الزائفة لا تثيرني، فجبل الثلج كجبل الرمل فطلبت من مرافقي ورجوته أن نعود إلى كراتشي، فقبض علينا عملاء الزعيم الأفغاني عبدالله ومسعود المواليين لإيران التي أدخلت الاحتلال على العراق، وباعني ذلك الرجل صاحب السياحة بألف دولار، ثم سلموني إلى الجيش الأمريكي وقالوا للجيش هذا من المقربين للرأس الكبير. من الرأس الكبير !؟
أشعر بألم في رأسي .

ارتح يا سبعة عشر وسأراك صباح الغد، خذ هذين القرصين للصداع ربما زادوا عليك كمية جرعة التحقيق !.
أكرر شكري لك دكتور فكري مرة أخرى
هذه البدلة البرتقالية حارقة؛ ألا يمكن أن أغيرها بملابس قطنية ؟
ملابس قطنية في كوبا وفي هذا المعتقل !؟ معذرة على الضحك في وجهك !
لا تهتم. اضحك كما تحب.
هذه ملابس مخصوصة لكم لئلا تشعروا بالراحة
سيتمزق جلدي في هذه الرطوبة
سترتاح بعد قليل مع القرصين
أراك غدا.

وعاد خيالكِ يكلمني
صوت أنثى
ليتك تسمعينني
لست وحدي، أنتِ معي
أخاف على خيالك في هذا المعتقل أن يقبضوه
وهل يقبض على الخيال ؟
نعم يقبضوه لو رأوك
فأخفيك في روحي ومجرى دمي
لن يصلوا إليك فأنت آمنة في صدري وقلبي
فتح عينيه ليراها
فرأى القضبان تلفه، والأضواء حرقت عينيه
صرخ ونادي بإسمها
كسر صراخه صمت الليل، ضاق بصراخه السجناء الآخرون
اخرجوا هذا المجنون من هنا؛ نريد النوم.
بكى نحيبا بنشيج كسر القلب
تحركت أحزان قلوبهم
ساد الصمت
بكى وبكوا بكاء المقهور، أخفى رأسه بين رجليه اللتين لفهما ذراعيه
انطرح على الأرض نائما
وعاد خيالها يكلمه
جسمي متعب إلا قلبي
الذي أنت فيه وأنا
أنا وأنتِ لسنا شخصان
بل أنتِ أنا
فنام نومة الصغير الشبعان الذي أرضعته أُم .

ضوضاء وضجيج في السجن والزنزانات. ضرب المسجونون قضبان غرفهم بأيديهم، ورموا الطعام على الحراس ، وسخروا منهم، وسبوهم. لا ترض إدارة السجن بهذه الفوضى من المعتقلين، فجاءت قوات الطوارئ ورشت المساجين بالماء الحار ليسيطروا عليهم ويخرجوهم وينقلوهم؛ أطلقوا عليهم رصاص التنويم، إبر منومة كالتي تطلق على الحيوانات. في كوبا هؤلاء المساجين أقل من الحيوانات. نام المسجونون قهرا بفعل الإبر، اقتاد الجنود مثيري الفوضى إلى غرف السجن الانفرادي الذي يغيب فيه السجين عن الزمن والمكان وعن الليل والنهار في غرفة مربعة من الحديد لا ضوء ولا بوصلة إلا الهواء، لا دورة مياه إلا الحفرة الصغيرة، والطعام الذي قد تخالطه الديدان. هذا عقاب حتى لا يرجعوا إليه.

لم أشاركهم المظاهرة. لماذا تظاهروا !؟ ماذا أرادوا ! وهل السجين يريد !؟. جسمي هنا في زنزانة القفص معهم لكن خيالي معك وعندك. من المريض أنا أم هم !؟. لا أدري. اقترب الجندي بلتيمور من قضبان سجني ونظر إليَّ ورفع إبهام يده نحوي أنت رجل طيب يا سبعة عشر وسجين مؤدب، أنصحك بألا تشارك هؤلاء الفوضى. رفعت له إبهامي مثله لكنه سجان غير جيد؛ ألقاني البارحة ملوثا بالشوربة على الأرض. لن أكون مريضا وأحمقا أيضا لأعادي هؤلاء الجنود الحمقى، فلو كان صديقا لي لزاد لي فترة الطعام وربما أعطاني ملعقة بلاستيكية أخرى، وهو يحاسبني على كل ملعقة لأردها له يخاف أن أقتله بملعقة بلاستيكية. وضعت رأسي على وسادتي وأغمضت عيني لأنام.

هل أخبرتك بأنني افتقدتك. ليست هذه الحقيقة !. الحقيقة بأنني افتقدك في كل وقت!.

حتى في النوم انتظر مجيئك

لكن النوم لا يجيء بك

كما أنت في الواقع لا تجيئين وهل ستجيئين كوبا !؟

أنتِ أمر عجيب: في الواقع والخيال أنت سواء

أنت حقيقة في حياتي كالخيال

معك فقدت الاتزان

اقترب الجندي فرانك ونادى سبعة عشر النائم:

استعد للتحقيق. العقيد " بل " في انتظارك. قال له 17 : فرانك لا ترفع صوتك عند إيقاظي، كنت أنتظرها، كانت ستجيء ؟

سمِعتْ صوتك واختفتْ. في المرة القادمة أخبرني قبل أن تستيقظ هل جاءتك لكي لا أزعجكما.

أخرج سبعة عشر يديه من فتحة القضبان ليضع الجندي فرانك القيود على اليدين ويربطهما بالقدمين، فتح باب الزنزانة خرج السجين، واقتاده إلى غرفة التحقيق.

استهزأ " بل " أهلا أهلا بوزير الدفاع تشينوف ورامسفيلدوف

17: لا تقل أهلا لكن قدم لي التحية العسكرية

بل: حسنا كما تريد، اجلس هنا يا وزير.

17: لست وزيرا أنا سبعة عشر

بل: المعذرة يا سيد سبعة عشر، أسمعني جيدا أريد أن أخرجك من السجن فاعترف وارتح وريحني

17: أعطيتك اعترافا في الجلسة السابقة.

بل: لم أقبله ولن أقبله، ليس ذاك اعترافا، ذاك جنون.

17: جنون !؟ ألم تكن معنا يا " بل " في كاليفورنيا وحضرت معنا الاجتماع ؟

بل: من سوء حظي كنت هنا ولم أشارككم الاجتماع !

17: ألم تكن معنا لنجد الخطة لنبرر تدمير أفغانستان والعراق، فدمرنا البرجين والمبنى السابع، وخدعنا الإعلام العالمي فلن يلومنا أحد ما فعلناه بعد ذلك. قال ذلك (17) وعلى وجهه ابتسامة سخرية!. أليست فكرة شيطانية كسم العنكبوت !؟. حسنا سأكمل لك ما دار من حديث ؟

بل: تكمل ماذا يا سبعة عشر ؟

17: أكمل خطتنا التي أردنا فيها إسقاط البرجين في نيويورك.

بل: هذا ممتاز لكنني أريد حديثا عن الإرهابيين
17: نعم حديثي سيكون عن تشينوف ورامسفيلدوف
غضب العقيد " بلْ " غضبا شديدا وصفعه على وجهه حتى أن آثار الأصابع استمرت طويلا على وجه سبعة عشر. صار وجه (17) أحمرا من الغيظ وظهرت عروق غضبه على رقبته، أراد أن يندفع إلى " بل " ويضعه تحته، لكنهم مسكوه وضربوه وركلوه وبصقوا عليه وربطوا يديه من الخلف بقدميه.

بلْ تعذيب في الجسد
وأنت عذاب في الروح
هل ستفرحين بأنك تعذبينني لأنك تعلمين بأنك في قلبي !
إذا فرحتِ؟ فأنت أشد عذابا من " بلْ "
تتلذذين بتعذيبي
أظن آن التوقف في أن أفكر فيك
هل وجدتكِ ؟ أو أنني فقدت نفسي !
سأمضي ولن ألتفت إليك
أنا حزين عليك يا قلبي؛ أعطيته إياها، لكنها رفضته !.
قلبك يا قلبي مفصوم !. لكن حبي واحد لا ثاني له
عليك أن تعيش بلا قلب
حملت جسدي وتركت قلبي، قلبي صار بلا قلب.

أين " بل " سأعترف بكل شيء
أظن صاحبنا يا فكري متعب جدا! نعم واضح عليه الإعياء. هل أغضبه أحد المساجين الذين يهزؤون به ؟ يا صبري صاحبنا هذا لا حاجة لإنسان بجانبه ليغضبه، فصاحبه الثاني معه، فقد يتنازع معه ويغضبان من بعضهما ! هذا هو عالم الأوهام. هذا الرجل مسكين بين قلبه وبين تعذيب " بل "

تفضل يا سبعة عشر نحن هنا لاعترافك. التفت " بل " إلى الجنود: جاهزون يا شباب ؟ الكاميرا ؟ الطباعة ؟ ثم أمر " بل " : ابدأ يا سبعة عشر، لكنه أوقفهم " بل " لحظة .. لحظة ... أريد أن أضع مقدمة مكتوبة وبصوتي بأننا نحقق مع شخص مصاب بالفصام. والمريض بهذا يسمع أصواتا ويرى أشياءً غير موجودة وليست حقيقية، وبناء عليه ستكون استنتاجاته غير حقيقية، قد تتساءل لماذا نحقق معه إذن ؟ الجواب قد نجد أثناء حديثه ما نربطه مع اعترافات الإرهابيين الآخرين، أو قد يكون كلاما حقيقيا غير متخيل ينفعنا في التحقيق. ففريقنا الطبي معنا ويحلل ما يقوله السجين سبعة عشر. سنبدأ الآن.

تعبت يداي يا " بل " من هذه القيود، أوثقوا رباط قدمي لكن حلوا يدي قليلا لأتكلم براحة وحرية. حسنا يا فرانك فك قيد يديه، واربط رجليه بالكرسي. شعر سبعة عشر بنوع من الراحة فمنذو شهور ويداه في القيد أو محبوسة في زنزانة.

تفضل يا سبعة عشر. كما قلت المرة سابقا اجتمعت العام الماضي مع رامسفيلدوف وتشينيوف. سأضيف في اعترافي شخصين أو ثلاثة لهم علاقة بما حدث لكنهم لم يحضروا معنا الاجتماع.
الأول لاري سيلفرستينوف، والثاني مارفنوف بوشوف الأخ الأصغر للرئيس بوشوف الصغير. لماذا مارفنوف لأنه مدير شركة سكيوركوم التي تدير أمن مركز التجارة العالمي، وطيران الخطوط المتحدة ومطار دالاس العالمي أيضا. أليس مصادفة !. إنه شيء مضحك !.

لكي تسقط البنايتان، علينا أن نضيف موادا كيمائية كالنانو ثرمايت ليجعل المبنى غبارا أثناء سقوطه، والمادة الأخرى الثرمايت لقطع الحديد الذي يحمل المبنى لتتساقط طوابق البناية على بعضها متتالية بعد تفعيل المتفجرات.

لماذا ذكرت المتفجرات؛ لأننا احتجنا مارفنوف لإدخال الديناميت. وإدخال هذه المواد الخطرة بالكمية والمقدار لا يستطيع أية شخص في أمريكا الحصول على واحد منها ولو كانت شركات متخصصة إلا بإذن حكومي بالتأكيد مع تبرير حجم الكميات. فكما قلت يا " بل " لا نستطيع أن ندخل هذه المواد وتثبيتها إلا بوجود مارفنوف المسؤول عن الأمن. كذلك احتجناه لدخول السيارات وخروجها التي تنزل هذه المواد الكيمائية الخطرة ليلا، وإخراج ما كان محفوظا في الأقبية واحتجناه أيضا؛ لتسهيل خروج ودخول الأشخاص العاملين.

واصل حديثه: مُنِع منعًا كاملا وقاطعا باشتراك أية شخص غير المختارين بعناية في القائمة. جميع كاميرات التصوير الأمنية عطلناها بقطع الكهرباء ليلة الحادث. ولا يختار أحد هذا الأسلوب إلا لمعرفته كيف يسيطر على الكاميرات سيطرة كاملة. وكلاب شم المتفجرات أخرجت من المبنى ليلة التفجير لئلا تشم المتفجرات. أليس من المضحك يا " بل " أن يكون رجل الأمن هو الذي يخرق الأمن، وبدلا من نشر الأمن في البناية، نشر الرعب والذعر في العالم كله.

إن اتهام أشخاصا في كهوف الجبال مع قلة خبراتهم العلمية والعملية وبجهلهم المطبق عن نظام إدارة المبنى، أقول لك اتهامهم كذبة كبرى. هذا يا " بل " فكيف بتخطي الحواجز الأمنية مع إدخال مواد الإذابة الحرارية الممنوعة، والكميات التي لا تتوفر إلا في الجيش نفسه. هذا سخف لا يصدقه عاقل !. هل تريدني أن أصدق بأن تركيب الديناميت الذي بحد ذاته يحتاج إلى دراسة وتصميم ووقت للتركيب !. كل هذا يحدث في ليلة واحدة ؟!. وكله يثبت في جميع أدوار البناية ولم يرى أحد كل هذا ؟!. ألأنت فاقد لعقلك ؟ أم أنت أحمق ؟ أو تتاحمق ؟!. أين قواتكم ومخابراتكم أين المباحث الفيدرالية وأين FBI ؟!.

هل تظنون بأن من في الكهوف يستطيعوا أن ينتجوا النانو ثرمايت !؟ إنه لأمر مضحك لأن هذه المادة تصنع في معامل عالية التقنية بوجود علماء كيمائيين متخصصين جدا. فالنانو ثرمايت جعل المبنيين رمادا. لمعلوماتك النانو ثرمايت يعطي شيئين الأول: درجة حرارية عالية جدا تصل إلى 1800 فهرنهايت تقريبا يعادل 980 درجة مئوية لتتصور ذلك: هذه مادة تفوق تذويب الحديد، وثانيا: النانو ثرمايت مادة سريعة الانفجار أظنكم شاهدتم هذا في التلفاز.

فكيف تخطى هؤلاء المتهمون الحاجز الأمني ودخلوا المبنى مع وجود الحواجز التي نعرفها والتي لا نعرفها. حقيقة هذا ليس بجواب لكنه سؤال يحتاج إلى إجابة. الجواب هؤلاء لم يعرفوا المبنى ولم يدخلوه لا من بعيد ولا من قريب. السؤال أيضا: من أطفأ الأمن يا صاحب الأمن ؟.

وهل هذا يحدث ولاري سيلفرستينوف - مالك البنايتين - ليس عنده علم بهذا !؟. بل كيف هُدِم المبنى السابع بنفس طريقة البرجين ! كانت إجابة لاري للصحفيين طلب هدمهِ بسبب اندلاع الحريق بالمبنى 7. فهل خلال ساعة أو أقل يتخذ قرارٌ بإسقاط المبنى السابع، ووضع الديناميت وغيره لإسقاط عمارة من خمسين دورا. هل هذا يصدقه عاقل !؟. لكن التفسير الصحيح أن المبنى زرعت فيه مواد التفجير وغيرها مع المبنيين. وهذه البناية رقم 7 فيها مكاتب الأمن الأمريكي بأكمله، فهل كان قرار إسقاط البناية 7 للمالك سيلفرستينوف وحده !؟. لا يمكن هذا، لا يمكن أبدا إنه من المستحيل.

كان يقلقنا بعد الحادث، كيف نغطي الأدلة ونمحوها. عندنا حديد ملتوي بسبب النانو ثرمايت وحديد محروق وبناية كاملة ومتفجرات. الأهم ماذا كنا سنفعل في التقرير الذي سيطالبنا به الإعلام. فلكي نخفي كل هذه الحقائق وغيرها، احتجنا إلى كيسنجروف. هل أن تتصور أن كيسنجروف يبحث عن حقيقة التفجير وهو من صانعيه!. ضحك السجين 17 كثيرا !.

أين صور الصاروخ على البنتاغون ؟

إلى اليوم لا نر صورة لما أحدث الثقب في مبنى البنتاغون ؟

الكاميرات معطلة !

الرادارات معطلة !
من عطلها ؟!
أية وسيلة ممكنة تعرفنا بما حدث، معطلة !
الدفاع الجوي عنده تدريب بنفس اليوم والتوقيت: خطة لتقليد الهجوم على البرجين !
هناك شخص يعمل خلف كل هذا ويديره ! من هذا الشخص
لجنة المحامين لـ 11/9 يطالبون بإعادة التحقيق، ولم يقبل طلبهم إلى يومنا هذا !
النظام الأمني الأمريكي يخترقه شباب من كهوف
عشرات ومئات المهندسين الأمريكان وغيرهم يقرون بأن الهدم للبنايتين ليس بسبب حريق الطائرة !
هل الطائرات التي اختطفت هي التي اصطدمت بالبرجين ؟! الجواب لا .
أسئلة كثيرة وإجاباتها سهلة واضحة بل وموثوقة، ولا زالت الحكومة ترفض كل هذا.

أقول جيء بكيسنجروف لا ليكشف الحقيقة لكن ليغطيها ويخفيها. أليس هذا مضحكا أن تكون مسؤولية فريق التحقيق إخفاء الحقائق لا إظهارها !. هذه من أعجب العجائب. ولو تأملت قليلا بين ثلاثة أشخاص كانوا في الغزو الأمريكي لبنما، رامسفيلدوفوف و تشينوف وكيسنجروف. ولمعلوماتك يا عقيد " بل " أن عودة الطائرات المغادرة من المطارات ورجوعها كان ذلك أحد الخطط في هجوم بنما أيضا بتخطيط هؤلاء الثلاثة أنفسهم.
أسألك يا " بل " هل أنت من الوطنيين الذين يحبون أمريكا ؟
عشت حياتي لأجل أمريكا أجابه " بل "
حسنا فكيف هدمتها ؟
أنا لم أفعل أنتم فعلتم
طلب 17 : " بل " أوقف التسجيل لتتكلم بحرية
بل: تريد أن توقعني في الفخ بأنني أخفي أو أشعر بشعور لا أريد أن أسجله ؟!
17: لا ليس هذا يا بل. الشخص فينا يعيش حرا وكريما حينما يكون وجها واحدا لا عدة وجوه ضحك بل وكم وجها أنت يا 17 . ضحك بل ملتفتا إلى الجنود.
17: أنا أناس كثيرون لكن بوجه واحد

17: أنا أسألك يا " بل " هل البرجان سقطا بتقنية عالية في المواد والتخطيط والتوقيت والنتائج والقرارات؟
نعم أؤمن ببعض صحة ما قلته وليس بكله.
لا عليك دعنا في أمر واحد: هل يستطيع كهفيون أن يمرروا عبر نقاط جمارك المطارات وغيرها هذه الكمية من المتفجرات؟ وضع في اعتبارك بأنها مادة عسكرية خطيرة لا تنتج إلا في معامل عسكرية وعليها رقابة حكومية من وزارة الدفاع.

نعم اتفق معك يا 17 بأن المادة وفق ما شاهدت مادة عالية التقنية. ولا أظن بأن كمية كهذه أو مادة كهذه تعبر الحدود الأمريكية.
حسنا ألا يمكن يا " بل " بأن هذه المواد لم تعبر الحدود ولا حاجة لأن تعبر الحدود لأنها جاءت من داخل أمريكا.
تهَّرب " بلْ " من الإجابة لا أستطيع أن أجيب لأنه ليس عندي معلومات ثم قال: تعرف يا 17 صرت أشعر بأنك المحقق وأنا الإرهابي. ضحك الجميع لكن سجين القفص 17 لم يضحك ولم يبتسم.

أظنه من المناسب أن نقف الآن ونكمل لاحقا. حسنا انتهى التحقيق. اخرجوا جميعا أوقفوا التسجيل والتصوير.
هموا بأن يسحبوا 17 بسلاسله. لحظة اخرجوا جميعا أريد أن أكون مع 17 لوحدنا.
بعد أن خرج الجميع: اسمعني جيدا يا 17 إن واصلت الحديث المنطقي هذا، أخشى عليك بأن تنتهي حياتك وأنت في زنزانتك. فأنا أعرف أكثر مما تعرف. نحن خائفون في أمريكا من قول الحقيقة. وإذا وصل الأمر إلى أن أضحي بك أو بوظيفتي !، فسأضحي بك اسمعني جيدا يا 17 قف عن تهيؤاتك هذا وإلا ستصفى ؟

عفوا يا " بل " لم أشعر بالخوف من كلامك. تريد أن تقتلني ؟ أفعل لكنك لن تقتل الحقيقة. لكن الذي أنا واثق منه بأنه عار على أمريكا أن تخفي الحقيقة وتقتلها بقتل الدول البريئة والناس الأبرياء بالكذب والافتراء والظلم والطغيان.

صرخ " بل " تعالوا اخرجوا هذا القذر من الغرفة وصفعه في وجهه حتى أن صوتها سمع خارج الغرفة ! علي أن أمثل وأبدو متزنا فكلام 17 بدأ يؤرجحني، فكل هنا يتجسس على الآخر لا أعرف صديقي من عدوي

ما الذي يسكن الألم ؟ له ما يسكنه
لكن ما الذي يسكن وجودك في ذهني وصدري!
أجد صعوبة في إخراجك من مسار تفكيري
لعلي أوضح بتصوير
وجودك كوجود مسارات الدم
تجرين فيني
فهل أحد يقطع أو يوقف دمه !؟
حتما
سيموت
فهو ميت على الحالين
مع وبلا
صرتِ حياة تدب في حياتي

ليتني ما عرفتك
ما الذي تغير !؟
لا شيء
ليت شيئا فيك تغير وأن حياتك تغيرت
المشكلة أنا الذي تغيرت
بدأت أحبك
أريد أن اضبط جريان دمي
ونبض صدري
وجدت صعوبة في سيطرته إلا بأمور منها أن أكرهك
وكيف أكرهك
وهل يعقل أن أكرهك !
الآن صرت فيك حبا أشد من قبل
لكنني أريد أن ابتعد
والأصعب أن ابتعد
مسكين أنت يا سبعة عشر
تمزق وشروخ
في الجسد والروح
أنا احتضر
عواطفي تموت
بل سأقتلها
كيف بالواحد يقتل نفسه، بعد أن وجدها. ثم قام يقتلها
هذا عذاب يزلزلني

إن لم تموتي، سأموت أنا
سأقتلك داخلي
وسأسترد نفسي منك يا سارقة
فرجعت إلى وحدتي
وحروف صدري
اكتبها لوحدي
نبض الحروف يدوي، يصك أذني
سأربط الكلمات بسلاسل الفولاذ
والحديد
لكنها لن تجري
لا أدري
تقفز كلاماتي هناك وهنا
يملؤها البشر والسرور
وضحكتها في أذني تدوي
انتهيت
وقفت رحلتي وهجرتي
ورجعت إلى صدرك وحنانك
ارتوي ومنه أروي

طالت غيبتي
سئمت وحدتي
حتى مللت الصدى وإزعاج الصوتِ

لم أعد ظلا
ولا أريد أن أكون صدى
أنا مسجون وسأصنع سجني
لو رأيتِ شجرة
بدأت تثمر تفكيرا وعاطفة ونبضا
مزروعة في صدري
هل علمت ما سقاؤها !؟
أنت جذورها
وسقاؤها أنتِ
جذورك امتدت وامتدت حتى خرجت من جسمي
حتى شعرت أن جذورك تحت قدمي
فكيف انزعك من تربتي وأرضي

أعشتِ الحقيقة والخيال !؟
أنتِ قصة تمشي
جسمه في كوبا
في قلبه وعقله أنتِ
حينما يعقل يفكر في برجي جوانتانامو
وحينما يجن
يجن بك أنت وحدك ويهذي
أعشتِ الحقيقة والخيال ؟

هذا هو الفصام
جسم واحد يحمل شخصين بعقلين وقلبين. أنت فيه كل قلبي

الخيال صار حقيقة
والحقيقة صارت سرابا أشد خفاء من الخيال

من أنتَ يا سبعة عشر ؟
ومن أنا ؟
أنا أنتِ
وأنتِ أنا

يتبادر إلى ذهني وقلبي وعمري سؤال بإلحاح: هل سأعيش بدونك بقية العمر!
هل سنلتقي ؟ عقلي المريض لا يستطيع أن يجيب على هذا.
وكيف أعرف الإجابة وأنت سراب في خيال. لا السراب موجود فكيف إذا صار في الخيال !
فأنت بعيدة جدا عن الحقيقة. هل من سبيل إلى الوصول إليك ؟
لا أعرف !. أنت قريبة إلى روحي، بل تكادين أن تكوني روحي. مع قربك هذا إلا أنك بعيدة كل البعد حتى إنني أشك في وجودك، وبك فقدت وجودي.
كيف يفهمونني إن قلت لهم هذا !. ربما لو كانوا عادلون لاستطاعوا فهمي.

مشكلتي مع المحقق " بل "
إنه ذكي يرفض الإملاءات الخارجية
فهو يقول لا تفرض علي شخصيتك وقناعاتك لكنني احترم وجهة نظرك وتصوراتك. أي: لن أتغير

مشكلتي أنا: علي أن أعبر كل هذا
لأصل إلى عقله الهادئ، والصافي والرائق
بعيدا عن كل الفلاتر السلبية
وأقول له بهدوء وصفاء
أنا بريء من الإرهاب وأتبرأ منه

لم تكتمل قصتي بعد
لا يهمني اكتمالها
فهي قصة لا زالت تحت الحياة
بحياتك بدأت
وتنتهي بموتي

في مكتب كوبا جلس بل مع نائبه كروهر وأخبره بأنه أرسل إلى واشنطن تحقيقه مع المتهم 17، وجاءه الرد بتصفيته لأنه مريض بالفصام؛ فهو غير نافع في التحقيق وبقاؤه مكلف دون جدوى، وشهادته قانونيا غير معتبرة، ولأننا لا نستطيع إرجاعه إلى بلده خشية أن يظهر في الإعلام كما ظهر غيره. فالحل التصفية وإلا إبقاؤه في زنزانته ويموت فيها. في سبيل اليهود يرخص كل شيء ويقتل كل شيء. وحيثما وجد اليهود، وجدت جريمة القتل.

جاء الطبيبان فكري وصبري مكتب " بل " بعد استدعائهما وأخبرهما بما جاء في جواب واشنطن وسألهما: هل عندكم تركيب طبي يموت فيه 17 بثوان دون أن يشعر بألم ؟ التفت كل من الطبيبين إلى بعضهما لا يا عقيد ليس عندنا هذا. حسنا سنطلبه من الوزارة شكرا لكما تفضلا إلى عيادتكم.

أرأيت يا صبري بماذا يخطط " بل " !. كيف يقتلون فصاميا !؟ . هذه هي الحرية والعدالة المخفية !. هل نستطيع أن نفعل شيئا لمنع ذلك ؟ نعم نستطيع أن نفعل شيئا علينا أن نمنع جريمة القتل .

أريد أن أكتب خواطري المتفرقة التي سأجمعها يوما وسأرسمها بألواني. سأكتب خواطري بالقلم الرصاص المكسور وسأكتبك على الجدران، سيعاقبونني، فليفعلوا؛ ما عدت استطيع أن أخفف حرارة قلبي بك إلا بهذا:
عاد قلبي يفضحني.
باحت العينان بسرها.
فاضت العينان بمائها.
افتقدت عيناي قمرها.
ما عاد في السماء قمر.
متى تراك عيناي ؟
هل رجع قلبك يناديني.
هل طرق قلبك نبض قلبي ؟. تسكنين معي في صدري.
هل حدثك الحب عني ؟
سهرت الليل وقمره غائب !.
ورحلتْ فجأة بلا صوت أو أثر أو وداع.
ورحلتِ بحبك فجأة. طالت غيبتك ولم ترجعي !.
هواك غلبني !.
هل حبي أذى ؟ أراعك حبي !. أنا الأمن، لكنك صيرتيني لكِ رعبا !.
ما عاد صوتي يطربكِ ! وما عادت تسحرك رسائلي!.
فقدت كلماتي بريقها.
صرت لك بردا !. وانطفأت ناري ولم أعد لك دفئا !. وآسفاه صار جمري رمادا. أحرقتُ بكِ نفسي.
وسأنتظرك إلى آخر عمرٍ من عمري.
أشعر برأسي يؤلمني، كتبت بوح صدري ونفثته على ورقي. إنني أتألم. وهي لا زالت صبية طائشة تلعب بعواطفي. لبست فقري ولم أخلع مرضي ! أتراها تنتظرني أم رحلت عني. ليتها عرفت الحب، لم تعرفه لصغرها. آثرتُ سعادتها فشوهت نفسي، لتلقف الحب الجديد من الأمير التاجر الغني الذي ربما أسعدها، لن يحبك أحدا حبي. سأحاول أن أبغضك !. أتراني أستطيع !؟ سأصنع بغضك في قلبي:
الراحة فراقك.
جمالك لا لذة فيه.
فراقك هو عيدي الثالث.
عند فراقك سألبس الثوب الجديد؛ لأنه عيدي الجديد.
سأشرب قهوتي لوحدي؛ لا طعم لها معك.
رحلتُ إليك، ولم ازدد فيك إلا بغضا، ونقصت فيك حبا. فرحلتُ عنكِ
ليتك شخص آخر، خدعت قلبي بك.
فاض قلبي منك مرارة، حتى بصقت لساني.
ليس للحمق علاج. جمال أحمق. جميلة لكنك حمقاء.
أكرهيني لأتركك.
لا أحبك لكنني لم أكرهك بعد. فكيف إذا كرهتك !؟ ما الحال حينذاك !؟.
لم يعتد قلبي الكراهية
الصبر المر ... هو أنتِ. صار جمالك مرًا !.

أخطأت حينما دفنت قبرك في صدري قرب قلبي. حتى جُنَّ بكِ وصار ينبش التراب حتى أخرجك. وحسنك في عيني يزداد ويزداد حتى سحرني، صرتِ صوتا يناديني من أعماقي في أعماقي، هزَّ صوتك أضلعي لكن ليس له رجع صدى.

حينما حاولت بغضك عرفت بأنني أحبك حتى الجنون. لم استطع ولن أستطيع. في داخلي فوضى أنتِ سببها، أشعر بأنني مبعثر كالأوراق المرمية في كل مكان، وأنتِ من يضمني. لم استطع بغضك. بل كيف فكرت في هذا !؟. إنني أبحث عن خلاص. سأموت، إنني أختنق. أنتِ الهواء. أين أنتِ ؟ إنني أحترق !؟.   خذيني إليك.
إنني أشد بؤسا من الفقير الذي سأل مالا؛ لأن كل شخص يستطيع أن يعطي السائل مالا وطعاما ولباسا. لكن من ذا الذي يعطي الحب !؟. هذا سر من أسرار الوجود ولغز من ألغازه. أرحتك مني لكنني لم أرتح. بي ظمأ إليك عظيم ، وأنا في وسط الماء جفت عروقي.

أتقتل نفسك وتصير منتحرًا ؟ أو يقتلك غيرك يا سبعة عشر ؟ أم ستظل قابعا في سجن جوانتانامو ؟ أم ستجد طريقة للفرار من السجن ؟ هل سأل أحد عني ؟ حدَّثَ سبعة عشر نفسه محتارًا: ما الخطوة التالية. مضى عامٌ ونصف بين الضرب والتعذيب والإهانات. ليس ثمة شيء عندي لأقوله للمحققين إلا أن أكذب، وأقول بأنني من فجر البرجين !. كم عام سيمضي هنا ؟ متى سأرجع إلى بلدي ؟ متى سينتهي كل هذا ؟.

ما رأيك يا فكري أن نقترح على " بل " أن يطلب من واشنطن إرسال (17) إلى أحد السجون في أية دولة عربية؛ بهذا يتخلصوا منه، وفي نفس الوقت ننقذ حياته. اعتقد بأنها فكرة رائعة!. لكن لحظة يا دكتور فكري أية دولة عربية قصدت ؟ لأن سجون بعضها يعتبر سجن جوانتانامو بالنسبة لهم ترف ونعيم مقارنة بما يلاقونه من تعذيب في تلك السجون ! ثم هنا على الأقل له رعاية طبية بعد التعذيب، وعند أولئك الطبيب جزء من التعذيب !. إنا لله وإنا إليه راجعون ما هذه المصيبة التي نحن فيها. أيعقل يا صبري أن الموت هو الأفضل لهؤلاء المساجين فيما لو أرسلوا إلى البلاد العربية !؟ أية مأزق نحن فيه !؟

لو طُلِب مني أن أصفك
فكيف أصفك !؟
أأنتِ السماء ولونها ؟
النقاء والبساطة وسحاب الخير

طالما نحن في السماء
هل ستكونين لون الشمس
أية شمس ؟
أول ظهورها في طرف الكون
أأنتِ الإشراق
الصباح
الضحى
الظهر
المساء
العصر
الأصيل
قبل الغروب
أأنت الليل
سواد الليل
منتصف الليل
قبل الفجر

أي لون أنتِ
لم أقل القمر؛ لأنك القمر في ضيائه ليلة البدر دائما

هل أنت الأرض ولونها وحدائقها وبساتينها ؟
أأنت اللون الأخضر ؟
أأنت الربيع ؟
الذي يشع فيه ومنه كل أخضر في عينيكِ
أم أن عينيك سواد الليل أم زرقة السماء أو لون شاطئ البحر ؟
أو هو خليط من كل لون. عينان فريدتان، يتغير لونهما كل حين. كم أود أن أكون في عينيك، ليتني أسكن فيهما.
هل أبصرتني ؟

أبحرت في عينيك، فانكسرت مجاديفي، فغرقت فيهما، ولا أريد الخلاص منهما؛ أريد أن أبقى؛ فأبصريني.
من ذا الذي غرق في عينيك ثم أراد الخروج !
سؤال يا أغلى النساء: هل يدخل عينيك من كان ثوبه مرقعا، وجيبه مخرقا ؟
هل تريدين مالي أو قلبي ؟
خذي قلبي فهو أغلى ما عندي. اعتذر لك لم أضعه في صندوق ذهبي؛ كل صناديقي من الخشب. وكل صندوق فيه كسر. لا تفعلي، لا تركلي قلبي. صيري لي كل ما أملك. لا تتركيني لرخص، فالمال ليس عندي. هل أسرق لأغنى؛ لترضي !؟ ما كنت لأفعل. أنت سارقة، سرقتِ قلبي.

هل أنت الصحراء ولون رمالها الذهبية
عند التقاء أطرافه أعلى التل وعند طرف انحداره فيجيء الهواء ليغير لون الرمل؛ ويظهر رمل رقيق جديد ذاك هو لونك. لون امرأة عربية وجهها الصحراء الذهبية
لون جديد: ناعم ذهبي كلون وجنتيك

هل أنت لون الورد ؟
أية ورد
حقيقة، لا أعلم !
أشعر بأنني تهت فيكِ وبكِ

أظن بأنه لو كان للحياة لون
فأنت لون الحياة
ولكانت الحياة أنتِ

حينما تكونين أنتِ الحياة وأنتِ لونها
كان عليَّ أن أرسمك
فإذا رسمتك، رسمت حياتي
لكنني لا أعرف الرسم وأجهل الرسم، ولو كنت أعرفه لرفضت رسمك
لا أجرؤ على ذلك
ستظلين لوحة معلقة في عقلي وصدري
صرت لا أرى فيه إلا أنتِ
أعظم البكاء: ذلك البكاء الذي لم يسكتك بكاؤه
وكذلك أعظم الوصف: ذاك الوصف الذي عجزتُ عن وصفه
فصرت معه صامتا
خنقني الوصف عن الوصف

كبرياؤها وغرورها وشموخها نظر إليه بازدراء وقالت من أنت لتقرب مني أو تنظر إلي !. أنت مغفل مجنون؛ هل واحدة مثلي تنظر إلى مثلك أيها الثوب الممزق. أريد حبا يورثني مالا، لا حب الحمقى المغفلين أمثالك.
تساءلتُ هل أنا أحلم !؟ هل هذا حقيقة ؟ هل تعنين ما تقولين !؟
ماذا !؟ هل هذا أنتِ !؟ هل هذا عقلك وقلبك !؟

أترانا لعبة بيد الشيطان !؟. يبغضك فيني ويحببني فيك؛ فتزدادين بعدًا، وازداد قربًا، فلن نلتقي. خطان متنافران وفي اتجاه متعاكس، كيف سنلتقي !؟ هل نحن التقينا أصلا !؟ أنت وأنا ضعنا في لعبة الشيطان. كنت أريدك أمرًا جديدا في حياتي بعد وفاة زوجتي وولدي الوحيد في حادث السيارة. شعرت بالوحدة بعد رحيلهما، فأردتك الرفيق الجديد، والحياة الجديدة. كنت أريدك حياة، فصرتِ موتا وحزنا جديدا.
وقف 17 في قفصه ملصقا ظهره على الشبك بعد منتصف الليل والكل نائم. زجره الحارس بلتيمور: اجلس ممنوع أن تقف اجلس. لم يسمع ما قال له كان في عالم آخر. كانت روحه تتمزق، وعيناه تتحركان كعيني ميت تدور في مُقِّها. قلت لك اجلس يا 17 لا أريد أن أؤذيك سأدعو قوات حفظ الشغب اجلس يا 17.

سؤال إلى الحادي عشر من سبتمبر:

لا زلت أتتبع:
الكذبة الكبرى !
أتساءل : من الكاذب ؟
منْ بالبرجين أودى !؟
ليتني اصطادك
يا أنتَ.

موضوع كل يوم يصدمني
وينقلني من صدمة إلى صدمة أخرى

لو قبضتُ عليك يا هادمَ البرجين
وسألتك: عمن هدَّ البنايتين ؟
كيف ولماذا ... لا تُجِبْ
أمرك مكشوفٌ لا يخفى.

أليست أفغانستان والعراق نظام جديد !
عنوانه:
اهزم الضعيف وانصر الأقوى !
منطق عجيب غريب:
أصار الطفل الضعيف ظالما !
فرميتموه بقنابلكم !
وفي البحر جعلتموه غريقا مع الغرقى !
وفي البر جعلتموه عظما جائعا في مجاعةٍ
مع الجوعى ؟!
أمَّا القويُ في نظامكم
فصار ظالما أطغى !

سجين قُتِل في جوانتانامو
ما ذنبه !
ما جرمه !
كان جوابك:
هذه لعبتنا،
وسنلعبها مراتٍ أخرى.

أيسقطُ برجانِ من حصاةِ كهفٍ
حصاةٌ صغيرة، بل أصغرُ، بلِ الصغرى !

هذا ظلام ليلٍ لفَّهُ عقربٌ وأفعى !
سينبئك غدا، من يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء على صخرة صمَّى
يسمع دبيبها وما أدبى

سينبئك يا كاذبا: كذبتك الكبرى
فليس السجين مجرما !
إنَّما المجرم الطليق
هو أنتَ !؟

ما هذا الهراء الذي نحن فيه !
ما هذا النهب الإعلامي
سلبت أرضنا
وأخرجتنا من بيوتنا
وجعلتنا مجرمين في القانون الدولي الذي عبثت به ، بل أنت الذي اخترعته
كل صاروخ من أية بقعة على الأرض ترصده أقمارك الصناعية
ترصده ناسا
وإلى اليوم لا نعرف ما الذي فتحة البنتاجون في الحادي عشر من سبتمبر
أي عبث هذا
ألا ترى هذا نهبا لعقل الإنسان والسخرية به
لم تكن سرقتك هما
بل حتى في الأدب والمسرح والسينما
المعايير معاييرك
تجعل هذا أدبا
وتجعل ذاك فنا
وما سواه لا يستحق نوبل
" نو " لغير الغرب
" بل " للغرب
بعد خمسة عشر عاما ، أصدرتم براءته. أشعر برغبة في البصق. مرارة في لساني. كيف صِرت حكما براءة فلان وتهمة فلان ؟!. أريد أن أقاضي الأمم المتحدة والولايات المتحدة : ماذا فعلتم بالشباب الذين صاروا غلافا لرواية 11/9. أين هم ؟ ماذا فعلتم بهم ؟ هل أحرقتموهم ؟ أين قتلتموهم ؟
ما هذا الهراء الذي نحن فيه

أفكار تزاحمت في سجيننا 17 ، لم يستطع تحملها فوقف وهزَّ شبك قفصه بكلتا يديه مشوش الفكر وصرخ وبصق على الحارس العسكري بلتيمور ولوَّحَ عليه بسطل الماء، بل نثر الماء عليه. جُنَّ الحارس ! ما هذا

المجنون !؟ جلس أغلب المعتقلين من النوم بسبب الضجيج والصراخ . رأوا صاحبهم الفصامي 17 غاضبا واندهشوا من ضربه جدران القفص وسحبهِ سطل الماء عليه، كان ثائرا!.

دخلت قوات حفظ الشغب قفصه وحاولوا ربطه كان هائجا وغاضبا ، طرحوه أرضا، وأثناء العراك وضع أحد الحراس مسدسا فارغا من الرصاص بيد 17. صورت قوات حفظ الشغب بالكاميرا المسدس بيده؛ ليبرروا إطلاق النار عليه، اخترقت رصاصاتهم رأس الفصامي وقلبه. كذبوا كما كذبوا في سقوط البرجين ، ولفقوا قصة كقصة البرجين في طمس كل الأدلة.

لحظة صمت عميق. جميع المعتقلين في ذهول متسائلين ما الذي حدث !؟. غرق 17 في دمائه، وحاول بيديه أن يقف معتمدا على شبك القفص وفي يده مسدس، لم يستطع الوقوف، سقط غارقا في بركة دمه، ناداه جاره السجين: 17 ... 17 ...

فتح عينه اليمنى بتثاقل، ونظر إلى جاره، والدم على وجهه. نظر بعينيه الضعيفتين في أعماقهما حزن وأحزان ، عينان قالتا لجاره بصمت: لماذا قتلوني !؟ لماذا سجنوني !؟. لم أفجر البرجين. بكى 17 بصوت أليم اخترق كل قلب ثم ساد صمت عميق و حزن أعمق ونطق شهادة الموت: لا إله إلا الله.
مات 17.
قُتِل 17 !؟
وهل مثله يقتل !؟ وهل مثله يكون في سجن كوبا !؟

إنه التخطيط بالقتل والموت لمزيد من القتل والموت .
أسقِط سبعة عشر بخدعة كما أُسقِط البرجين بالخدعة .

تمت